﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [الأعراف: 154]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

المناسبةُ بين توبة الله وغُفرانه، وصنيعِ مُوسَى بعدَ أنْ هدأَ غضبُه

الآيةُ الكريمةُ شروعٌ في بيانِ بقيّةِ الحكايةِ إثرَ ما بيَّنَ من تحزُّبِ القَومِ إلى مُصِرٍّ وتائبٍ، والإشارةُ إلى مآلِ كُلٍّ منهُما إجمالًا[1]، بإهلاكِ المُصرِّ وتوبةِ الباقي، وظُهورِ براءةِ أخيهِ، وبقائِهِ على رتبتِهِ مِنَ الأمرِ بالمَعروفِ، والنّهيِ عنِ المُنكَرِ، والاجتهادِ في أمرِ اللّهِ، زال مُوجِبُ الغضبِ، فأخبرَ سبحانَهُ عمّا يَعقُبُهُ، فقالَ: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ﴾[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿سَكَتَ﴾: السِّينُ والكافُ والتَّاءُ أصلٌ يدُلُّ على خِلَافِ الكَلامِ والنُّطقِ[3]. وسَكَتَ عنه الغضب سُكُوتًا، وسَكَنَ بمعناه؛ إذا رأيته صَمتَ، لا ينطِقُ، ولا يتكلَّمُ[4]. فالسُّكوتُ مُختَصٌّ بتركِ الكَلامِ[5]، إلّا أنّهُ استُعمِلَ في هذه الآيةِ مَجازًا بِمَعْنَى السّكونِ وذهابِ فَوْرةِ الغضبِ[6].

2) ﴿نُسْخَتِهَا﴾: النُّونُ والسِّينُ وَالخَاءُ أَصلٌ وَاحِدٌ، إِلَّا أَنَّهُ مُختَلَفٌ فِي قِيَاسِهِ، ومنه: أنْ تُحَوِّلَ مَا فِي الخَلِيَّةِ مِنَ العَسَلِ وَالنَّحلِ فِي أُخرَى. ومِنهُ نَسخُ الكِتَابِ[7]؛ أي: نقلُ صُورتِهِ المُجرَّدةِ إلى كتابٍ آخرَ، واكتتابك كتابًا عن كتابٍ حرفًا بحرفٍ. وذلك لا يقتضي إزالةَ الصّورةِ الأولى

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/276.
(2) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 3/117.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن سيده، المحكم: (سكت).
(4) الخليل، العين: (سكت).
(5) الرّاغب، المفردات: (سكت).
(6) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (سكت).
(7) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (نسخ).

بل يقتضي إثباتَ مثلها في مادَّةٍ أخرى، كاتِّخاذ نقشِ الخَاتمِ في شُمُوعٍ كثيرةٍ[1]. وَمَعْنَى الآيةِ: وفِيما كُتِبَ لَهُ فِيها هُدًى ورَحمَةٌ.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

سُكـونُ فَـوْرةِ غضبِ مُـوسَى، وأَخْذُ الألواحِ

يخبرُ اللّهُ أنَّه لمّا سَكَنَ غضبُ مُوسى باعتذارِ أخيهِ، ولجوئِهِ إلى دعاءِ ربِّهِ بالرّحمة والمَغفرة، عادَ إلى الألواحِ الّتي أَلقاها فَأَخذَها، وفيما نُسِخَ وكُتِبَ منها هدًى وإرشادٌ مِنَ الخالقِ سبحانَهُ للّذين يَخافُونَ ربَّهُم، ويَخشَونَ عقابَهُ بالفعلِ، أو بالاستِعدادِ، أو يَخافونَ ربَّهُم مِنَ الشِّركِ والمَعاصِي[2].

وتُرشِدُ الآيةُ الكريمةُ: إلى أنَّ الإنسانَ أو المُؤمِنَ لابدَّ مِن أنْ يَستحضِرَ رهبتَهُ لربِّهِ وخوفَهُ منه سبحانَهُ؛ ليكونَ المنهجُ هدًى ورحمةً لهُ، ويكونَ مِنَ الّذين يَرهبونَ ربَّهُم[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

دَلالةُ الوصْلِ في الآيةِ الكريمةِ:

عـطْـفٌ عـلى الرّجـوعِ، وأخذٌ لـلألـواحِ بعـدَ إلقائِها من قبلُ

هَذِهِ الجُملَةُ عطفٌ عَلَى جُملَةِ ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾[4]. ونَظمُها مِثلُ نَظمِ قَولِهِ: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيْدِيهِمْ﴾ [الأعراف: 149]، وقولِهِ: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا﴾؛ أي: ثُمَّ سَكَتَ عَن مُوسَى الغَضَبُ، ولَمَّا سَكَتَ عَنهُ؛ أَخَذَ الأَلواحَ[5].

وَجْهُ التَّعْبيرِ بلفْظِ ﴿سَكَتَ﴾ على طريقِ التّضْمينِ:

إعـطـاءُ مـعـانٍ مُـتـعـدّدةٍ، خيرٌ مِن إعطاءِ معنًى واحدٍ

تضمَّنَ الفعلُ الماضي ﴿سَكَتَ﴾ مَعْنَى: انفكَّ أو كفَّ أو انصرفَ؛ لكونِ جميعها تتعدَّى بـ﴿عَن﴾[6]، فيرادُ جِماعُ المعاني، فاستعمالُ

(1) الرّاغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (نسخ).
(2) محمد رضا، تفسير المنار: 9/185.
(3) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 7/4372.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/122.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/121.
(6) الإندونيسّي، الشّامل في بلاغة القرآن: 1/482.

الفعلِ ﴿سَكَتَ﴾ في هذا المَوضِعِ فيه قَصدٌ إلى معنًى مُعيَّنٍ لا يَتأتَّى مِن دونِ ذكرِهِ، إلّا أنَّ تعديتَهُ بغيرِ الحرفِ المُستعمَلِ معهُ عادةً فيه ضربٌ مِنَ التَّوسُّعِ في المعنى مع غايةِ الإيجازِ، ومُؤدَّاهُ أنَّ لِلفعلِ دلالةَ أصلِ مَعناه، وباستِعمالِ حرفِ الجرِّ الّذي يَتطلَّبُ فِعلًا آخرَ يُصبحُ لِلمُعادلةِ وَجهان مُتكامِلَان؛ إذ يؤدّي الفعلُ أصلَ مَعناهُ بالتّصريحِ بهِ، ويَقتَضي حرف الجرِّ مَعْنَى الفعلِ الّذي يطلبُهُ بالتّضمينِ، فيكونُ المَعْنَى: انفكَّ، أو كفَّ، أو انصرَفَ ساكِتًا.

كمالُ الاستِعاراتِ وتنوُّعُها في لفْظةِ (السّكوتِ):

اجتماعُ استِعارَتين تصريحيّةٍ مُقارَنةٍ بالتّخييليّةِ من فصيحِ البيانِ

وَالسُّكُوتُ مُستَعَارٌ لِذَهَابِ الغَضَبِ عَنهُ، وهذه مِن جليّاتِ الاستعارةِ؛ لأنّ الغضبَ لا يُوصَفُ بالسُّكوتِ، وإنّما المعنى لمّا فَتَرَ عن مُوسى الغضبُ، وخَبَتَتْ جمرتُهُ، وإنّما قِيلَ: سَكَتَ؛ لأنّ الغضبانَ أبدًا يَكثُرُ خصامُهُ، ويعلو كلامُهُ، وإذا سَكَنَ غضبُهُ؛ زالَ عنهُ كلُّ ذاك[1]؛ أي: شُبِّهَ ثَوَرَانُ الغَضَبِ في نَفسِ مُوسَى المُنشِئُ خَوَاطِرَ العُقُوبَةِ لأَخِيهِ ولِقَومِهِ، وإلقَاءُ الأَلوَاحِ حَتَّى انكَسَرَت، بِكَلَامِ شَخصٍ يُغرِيهِ بِذَلِكَ، وَحَسَّنَ هَذَا التَّشبِيهَ أَنَّ الغَضبَانَ يَجِيشُ في نَفسِهِ حَدِيثٌ للنَّفسِ يَدفَعُهُ إلى أَفعَالٍ يُطفِئُ بِها ثَوَرَانَ غَضَبِهِ، فَإِذَا سَكَنَ غَضَبُهُ، وَهَدَأَتْ نَفسُهُ، كَانَ ذَلِكَ بِمَنزِلَةِ سُكُوتِ المُغرِي، فَلِذَلِكَ أُطلِقَ عَلَيهِ السُّكُوتُ، وهذا يَستَلزِمُ تَشبِيهَ الغَضَبِ بِالنَّاطِقِ المُغرِي عَلَى طَرِيقَةِ المَكنِيَّةِ، فَاجتَمَعَ استِعَارَتَانِ: مَكنِيَّةٌ مُقارنة بالتّخييليّةِ[2]، فكأنّ الغضبَ كانَ يُقَوِّيهِ على ما فَعَلَ، ويُغرِيهِ، ويَقولُ لهُ: قُلْ: لِقومِكَ كذا وكذا، وألقِ الألواحَ، وخُذْ برأسِ أخيكَ إليكَ، فلمَّا زالَ الغضبُ؛ قَطَعَ الإغراءَ، وتَرَكَ الكلامَ، فَسَكَتَ[3]. وقِيل: الغضبُ استعارةٌ بالكنايةِ

(1) الشّريف الرّضي، تلخيص البيان، ص: 77، وابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/459.
(2) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 6/595، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/122.
(3) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 15/13.

عنِ الشَّخصِ النَّاطقِ، والسّكوتُ استعارةٌ تصريحيَّةٌ لسكونِ هيجانِه وغليانِه، فيكونُ في الكلامِ مَكنيَّةٌ، قَرينَتُها تَصريحيَّةٌ لا تَخييليَّةٌ، وأيًا مَا كانَ فَفي الكلامِ مُبالَغةٌ وبَلاغةٌ لا يَخفى عُلُوُّ شأنِهما[1]. أو هي استعَارَةٌ تَمثيلِيَّةٌ مَكنِيَّةٌ؛ لأَنَّهُ لَم تُذكَرِ الهَيئَةُ المُشَبَّهُ بِهَا، ورُمِزَ إليها بِذِكرِ شَيءٍ مِن رَوَادِفِهَا وَهُوَ السُّكُوتُ، وفي هذا ما يُؤَيِّدُ أَنَّ إِلقاءَ الألواحِ كانَ أثرًا لِلغَضَبِ[2].

وقِيلَ: إنَّ فيه استعارةً تبعيّةً، حيث شبَّهَ سُكونَ الغضبِ وذهابَ حدَّتِه بسُكونِ الآمرِ النّاهي، والغضبُ قرينتُها[3].

أو أنّ السُّكُوتَ هنا استِعارةٌ تَبعيَّةٌ

وقِيلَ: إنَّ في المعنى قَلبًا، والمُرادُ: (ولَمّا سَكَتَ مُوسى عَنِ الغَضبِ) فهُو مِن بابِ أدخَلتُ فَمِي في الحَجَرِ، وأدخَلتُ القَلَنسُوةَ في رَأسِي، وفي هذا أيضًا استِعارةٌ، إذِ الغَضبُ ليسَ يَتَكَلَّمُ فَيُوصَفُ بالسُّكُوتِ[4]، فهو مِن نمطِ قلبِ الحَقيقةِ إلى المَجازِ؛ اتِّكالًا على أنَّ فِطنةَ السّامعِ سترُدُّ كلَّ شيءٍ إلى أصلِه، كما في خَرَقَ الثَّوبَ المِسمارُ. ووُجوهُ الاستعارةِ الأولى أشرفُ وأفصحُ مِن هذا الوَجهِ؛ لِمَا فيها مِنَ المَعنى البليغِ، وهو أنَّ الغَضبَ كانَ مُتمَكِّنًا مِن مُوسى، حتّى كأنَّهُ كانَ يَصرِفُهُ في أوامرِهِ. ومِثلُ هذهِ النُّكتَةِ الحَسناءِ، لا تُلفَى في (خَرَقَ الثّوبَ المِسمارُ)[5].

أو أنّ السُّكُوتَ استِعارةٌ على مَعنَى القَلْبِ

بوَصفِ كلمةِ ﴿سَكَتَ﴾ كنايةً عن أنّ الغضبَ زالَ وانتهى[6].

أو أنّ السُّكُوتَ فيها وجهُ كِنايةٍ

براعةُ الاستِعاراتِ على اختلافِ أنْواعِها:

في سكونِ غضبِ مُوسى عليه السلام باعتذارِ هارونَ أو بتوبتِهم مُبالَغةٌ وبَلاغةٌ مِن حيثُ إنَّه جعلَ الغضبَ الحاملَ له على ما فَعَلَ، كالآمرِ به

إفصاحٌ عن مُبالَغةٍ يَعْظُمُ شأنُ بلاغتِها

(1) الآلوسي، روح المعاني: 9/71.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/122.
(3) زاده، حاشية محي الدّين شيخ زاده: 4/303، والخفاجيّ، عناية القاضي: 4/378.
(4) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/459.
(5) القاسميّ، محاسن التّأويل: 5/190، والشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 7/4370.
(6) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 7/4370.

والمُغري عليهِ حتّى عبَّرَ عن سُكونِهِ بالسُّكوتِ[1]؛ لأنَّ السُّكوتَ فيه دلالةُ القَطعِ والحَسمِ بوصفِهِ تركًا للكلامِ، وإنهاءً لهُ على خلافِ السُّكونِ والخمودِ اللّذين يَقتضيان دلالةَ التَّدرُّجِ في الاستقرارِ. ودَيدنُ أهلِ الحَقِّ، حين يتبيّنُ لَهُم وجهُهُ، وتُزالُ عنهُم شبهتُهُ، المُسارعةُ إليهِ، والقَطعُ بلزومِهِ.

تَوجيهُ القِراءاتِ في لفْظةِ ﴿سَكَتَ﴾:

تَطلَّبَت تهدِئةُ مُـوسَى قـوّةً خارجةً تُمكِّنُهُ مِن إخمادِ فَوْرتِهِ

قراءةُ جمهورِ القُرّاءِ ﴿سَكَتَ﴾ بصيغةِ الماضي الثّلاثيِّ، وهي القراءةُ المُتواترةُ، وقَرَأَ سعيدُ بنُ جبيرٍ ويَحْيَى بن يَعمَر وعاصمُ الجحدريُّ: (ولمّا سُكِّتَ) بالتّشديد، وقُرِئَ: (أُسكِت)؛ أي: أسكَتَهُ اللّهُ، أو أخوهُ باعتذارِهِ إليه وتنصُّلِهِ؛ والمعنى: ولمّا طُفِئَ غَضَبُهُ أَخَذَ الأَلواحَ الّتي أَلقَاهَا[2]. فَلشدّةِ غضبِهِ، وحميّتِهِ على دينِ اللّهِ تطلَّبتِ التَّهدئةُ قوّةً خارجةً تُمكِّنُهُ مِن إخمادِ فَورتِهِ.

دَلالةُ (أل) التَّعريفِ في لفْظِ ﴿ٱلْأَلْوَاحَ﴾:

الأَلـواحُ هيَ الصُّحفُ الّتي أَلقَاها موسَى عليه السلام، عندَ الغضَبِ

والتَّعريفُ في ﴿ٱلْأَلْوَاحَ﴾ للعَهدِ؛ أي: الأَلوَاحَ الَّتي أَلقَاهَا، وإنَّمَا أَخَذَها حِفظًا لَها للعَمَلِ بها؛ لأَنَّ انكسارَها لا يُضيعُ ما فيها مِنَ الكِتابَةِ[3].

وَجْهُ التَّعْبيرِ عن نُسخةِ ﴿ٱلْأَلْوَاحَ﴾ على طريقِ الإيجازِ:

إشـارةٌ إلَى أنّ الـلّـوحَـينِ الأَصـلِـيَّـينِ، عُـوِّضَا بِنُسخَةٍ لَهُمَا

(النّسخةُ) فُعلَةٌ بمعنى مَفعُول[4]. فالنُّسخَةُ بِمَعنَى المَنسُوخِ، والنَّسخُ هُوَ نَقلُ مِثلِ المَكتُوبِ في لَوحٍ أَو صَحِيفَةٍ أُخرَى؛ أي: أُخِذَ مِنَ الأصلِ إلى الصُّورةِ. وهَذَا يَقتَضِي أَنَّ هَذِهِ الأَلوَاحَ أُخِذَتْ مِنهَا نُسخَةٌ؛ لأَنَّ النُّسخَةَ أُضِيفَت إلى ضَمِيرِ الأَلوَاحِ، وهَذَا مِنَ الإيجازِ، إذِ التَّقديرُ: أَخَذَ الأَلوَاحَ، فَجُعِلَتْ مِنهَا نُسخَةٌ، وفِي نُسخَتِهَا هُدًى

(1) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 3/36.
(2) وهما قراءتان شاذّتان، وابن خالويه، المُختصر، ص: 46، والزّجّاج، معاني القرآن وإعرابه: 2/379، والزّمخشريّ، الكشّاف: 2/163، وأبو حيّان، والبحر المحيط: 4/396.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/122.
(4) القاسميّ، محاسن التّأويل: 5/189.

وَرَحمَةٌ، والإضافةُ في ﴿نُسْخَتِهَا﴾ بيانيّةٌ، أو بمعنى (في). فَوَصفُ النُّسخَةِ بِأَنَّ فِيهَا هُدًى ورَحمَةً يَستَلزِمُ الأَصلَ المُنتَسَخَ بِذَلِكَ؛ لأَنَّ ما في النُّسخَةِ نَظِيرُ ما في الأَصلِ، وإِنَّما ذُكِرَ لَفظُ النُّسخَةِ هُنا إِشارَةً إِلى أَنَّ اللَّوحَينِ الأَصلِيَّينِ عُوِّضَا بِنُسخَةٍ لَهُمَا[1].

وفي معنى: ﴿نُسْخَتِهَا﴾ ثلاثةُ أقوالٍ؛ الأوّلُ: أي فِيما نُسِخَ مِنَ الألواحِ المُتَكَسِّرَةِ، ونُقِلَ إلى الألواحِ الجَدِيدَةِ هُدًى ورَحمَةٌ. الثّاني: وفِيما نُسِخَ لَهُ مِنها؛ أي: مِنَ اللَّوحِ المَحفُوظِ. الثّالث: وفِيما كُتِبَ لَهُ فِيها هُدًى ورَحمَةٌ، فَلا يَحتاجُ إلى أصلٍ يُنقَلُ عَنهُ، وهَذا كما يُقالُ: انسَخْ ما يَقُولُ فُلانٌ؛ أي: أثبِتْهُ في كِتابِكَ، والنُّسخَةُ فُعلَةٌ، بِمَعنى مَفعُولَةٍ كالخُطبَةِ[2].

النّسْخُ بينَ الحَقيقةِ والمَجازِ:

أصلُ النَّسخِ النّقلُ والتَّحويلُ؛ فإذا كَتَبَ كتابٌ كتابٌ عن كتابٍ حرفًا بعدَ حرفٍ، قِيلَ: نُسِخَ ذلك الكتابُ بنقلِ ما في الأصلِ إلى الكتابِ الثّاني. فإطلاقُ النَّسخِ على الكتابةِ استعارةٌ باعتبارِ الأصلِ وحقيقةٌ بحسبِ الاصطلاحِ[3].

اسْتِعارةٌ باعتبارِ الأصلِ، وحقيقةٌ بحسَبِ الاصْطلاحِ

بَلاغةُ التّضْمينِ في فاصلةِ الآيةِ:

في قولِهِ: ﴿لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ ضَمَّنَ الرَّهبةَ مَعنَى الخُضُوعِ؛ ولِهذا عدَّاها باللّامِ[4].

الفاصِلةُ تُضفي عَلى المَعنَى دلالةً، وعلى الإيقاعِ الصّوتيِّ هالةً

دَلالةُ اللّامَيْن في الآيةِ:

اللّامُ في ﴿لِّلَّذِينَ﴾ مُتعلِّقةٌ بِمَحذوفٍ هو صِفَةٌ لرحمةٍ؛ أي: كائِنَةٌ

(1) الآلوسي، روح المعاني: 9/71، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/122.
(2) ابن الجوزيّ، زاد المسير: 2/158، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 7/293، والشّوكانّي، فتح القدير: 2/285.
(3) القونويّ، حاشيَته على تفسير البيضاوي: 8/512.
(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 3/478.

لَهُم، أو هي لامُ التّعليلِ؛ أي: هدًى ورحمةٌ لِأجلِهم[1]. واللّامُ في قَولِه: ﴿لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ لَامُ التَّقويَةِ؛ أي: تقويةٌ لوصولِ الفعلِ إلى مَفعولِهِ المُتقدِّم، دَخَلَتْ على المَفعُولِ لِضَعفِ العَامِلِ[2]؛ وذلك لِتقدُّمِ المَفعولِ؛ لأنَّ تأخُّرَ الفعلِ عن مَفعولِهِ يكسبُهُ ضَعفًا؛ يعني: أنّها دخلَت جابرةً للضّعفِ العَارضِ لِلفعلِ بسببِ تأخُّرِهِ عن مَفعولِهِ، ونحوه قوله: ﴿لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [يوسف: 43]، وتقولُ: لكَ ضربتُ[3]. وبذا فهي زِيدَتْ للتّوكيدِ، كقولِه: ﴿رَدِفَ لَكُم﴾ [النمل: 72]، وقد يُزادُ حرفُ الجرِّ تَوكيدًا، وإنْ كانَ مُستغنًى عنهُ، يُقالُ: ألقى يدَهُ، وبيدِهِ[4]. وفيها أوجهٌ[5]؛ أحدُها: الفعلُ مَحمُولٌ على المَصدرِ؛ أي: لربِّهِم رهبتُهُم. والثّاني: لمّا تَقدَّمَ المفعولُ؛ ضَعُفَ عملُ الفعلِ، فعُدِّيَ باللّام. والثّالث: أي: لأجلِ ربِّهِم، والمفعولُ مَحذوفٌ[6]، فهي لامُ العلّةِ أو التّعليلِ، والتّقدير: يَرهبونَ مَعاصي اللّهِ لربِّهِم لا للرِّياءِ والسُّمعَةِ[7].

لَامـا التّعليلِ والتَّقويَةِ زِيدتا للتّوكيدِ، ولكلٍّ منهما أثرٌ

سِرُّ تقديمِ (الهُدَى) على (الرَّحمَةِ):

هِدايةُ النّاسِ ابتداءً، ودخولُهم تحتَ أنوارِ آياتِهِ تعالى، وظلالِ شرائطِ هداياتِهِ، سببُ إنزالِ فيوضاتِ رحماتِهِ، ومدادِ بركاتِهِ، كما أنَّ الإنكارَ والجُحودَ سَببٌ في مَنعِ الرَّحمَةِ، فضلًا عن أنَّ الأصلَ في تبليغِ الأديانِ تقديمُ أحكامِها، وقوانينِها، وسُننِها، ونواميسِها؛ ليكونَ النّاسُ على بيّنةٍ، فَيهتدُوا أو يضلُّوا.

الـهُـدَى بـيـانُ الـحَـقِّ في الاعـتـقـادِ، والرَّحمَةُ الإرشادُ إلى الـخـيرِ مـنَ الأعمالِ

الرَّحمَةُ مَجازٌ في الإرشادِ بطريقِ ذكرِ اسمِ المُسبِّبِ وإرادةِ السَّببِ؛ إذِ الإرشادُ سَبَبٌ لِنَجاةِ الخَلقِ عن ظُلماتِ الجهلِ والضّلالِ إلى نورِ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/276.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/122.
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/163، والآلوسي، روح البيان: 3/249.
(4) الواحديّ، التّفسير الوسيط: 2/414.
(5) ضعّفَ أبو حيّان الوجهَ الأوّلَ؛ لأنّ فيه حذفَ المصدرِ وإبقاءَ معمولِهِ، وهو لا يجوزُ عندَ البصريّين إلاّ في الشّعر. وأيضًا فهذا التّقديرُ يُخرِجُ الكلامَ عنِ الفصاحةِ. ينظر: أبو حيّان، البحر المحيط: 4/396.
(6) الكرمانّي، غرائب التّفسير: 1/424.
(7) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 3/36، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/276.

العلم والإيمانِ. وبذا يَحملُ الهُدَى على بيانِ الحَقِّ في الاعتقاداتِ، والرَّحمَة على الإرشادِ إلى الخيرِ مِنَ العملياتِ[1]. وبيانُ حقِّ الاعتقاداتِ مُقدَّمٌ على خيراتِ الأعمالِ؛ لكونِها دليلها، وسبيل سَلامةِ سُلوكِها.

نُكتَةُ تقديمِ المفعولِ في: ﴿لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾:

اخـتـصـاصُ الـرّهْـبـةِ منهُ تـعـالى وحـدَهُ؛ لأنّـه لا ضـارَّ ولا نافعَ إلّا هو

وتقديمُ المفعولِ في ﴿لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾، يحملُ مَعْنَى الاختصاصِ والقَصرِ مثلَما قالَ الحقُّ في فاتحةِ الكتابِ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: 5]؛ أي: خَصَصناكَ بالعبادةِ، وقَصَرنَاها عليكَ سُبحانَكَ، فلا تتعدَّى إلى غيرِكَ. فالتَّخصيصُ في الآيةِ يدُلُّ على أنَّ العبدَ لا يَرْهبُ أحدًا غيرَ اللهِ، وأنَّ الرَّهبةَ خالصةٌ للهِ، وليسَت رياءً، ولا سُمعةً، ولا لقصدِ الثَّناءِ[2].

فائدةُ الضّميرِ ﴿هُمْ﴾ في قولِه: ﴿هُمْ لِرَبِّهِمْ﴾:

وأفادَ الضَّميرُ ﴿هُمْ﴾ دلالةَ قَصرِ الرَّهبةِ عليهِم في الآيةِ، فَضلًا عَن مَلمَحِ التَّوكيدِ الّذي خَرَجَ إليهِ، وأفَادَهُ.

عِلّةُ تخصيصِ أهلِ الرّهْبةِ بالذّكرِ، والتّعبيرُ بالمُضارعِ:

يُـقـصـدُ بـأهـلِ الرّهْبةِ المُنتَفعونَ بآياتِ الكتابِ

وإنّما خُصَّ أهلُ الرَّهبةِ بالذِّكرِ؛ لأنّهُم هُمُ المُنتَفعونَ بآياتِ الكتابِ، فالعبدُ إذا رَغبَ إلى اللهِ بصدقِ الطَّلبِ، وإلى الجَنّةِ بحُسنِ العملِ، ورَهَبَ مِن أليمِ عذابِ فرقتِهِ والانقطاعِ ومِن دخولِ النّارِ؛ فقد أخذَ بالخوفِ والرّجاءِ ووَصَلَ بهما إلى ما هوى، فالخشيةُ إنّما تنشأُ عنِ العلمِ بصفاتِ الحَقِّ سبحانَهُ، وعَلامَةُ خشيةِ اللهِ تعالى تركُ الدُّنيا، والخَلقِ، ومُحاربةُ النَّفسِ والشَّيطانِ، قالوا: رهبوتٌ خيرٌ مِن رحموتٍ؛ أي: لِأن تُرهَبَ خيرٌ مِن أنْ تُرحَمَ؛ وذلك لأنَّ التّخليةَ قبلَ التّحليةِ[3]. وعبَّرَ عنهُم بصيغةِ المُضارعِ للدّلالةِ على تجدُّدِ فِعلِ الرَّهبةِ منهُم لِربِّهِم، واستمرارِهِم عليها.

---

(1) القونويّ، حاشيَته على تفسير البيضاوي: 8/512.
(2) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 7/4372.
(3) الآلوسي، روح البيان: 3/249.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 14 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-10-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 14 : المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-768-10-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0402725 بتاريخ 2023/12/30م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»